@ 441 @ في ا من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) ^ يخبر تعالى بفضل المؤمنين الممتحنين ^ (الذين هاجروا في ا) ^ أي : في سبيله ، وابتغاء مرضاته ^ (من بعد ما ظلموا) ^ بالأذية والمحنة من قومهم ، الذين يفتنونهم ليردوهم إلى الكفر والشرك ، فتركوا الأوطان والخلان ، وانتقلوا عنها لأجل طاعة الرحمن ، فذكر لهم ثوابين ، ثوابا عاجلا في الدنيا ، من الرزق الواسع ، والعيش الهنيء ، الذي رأوه عيانا ، بعدما هاجروا ، وانتصروا على أعدائهم ، وافتتحوا البلدان ، وغنموا منها الغنائم العظيمة ، فتمولوا ، وآتاهم ا في الدنيا حسنة . ^ (ولأجر الآخرة) ^ الذي وعدهم ا على لسان رسوله خير ، و ^ (أكبر) ^ من أجر الدنيا كما قال تعالى : ^ (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل ا بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند ا واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن ا عنده أجر عظيم) ! 2 2 ! (لو كانوا يعلمون) ^ أي : لو كان لهم علم ويقين بما عند ا من الأجر والثواب لمن آمن به وهاجر في سبيله ، لم يتخلف عن ذلك أحد . ثم ذكر وصف أوليائه فقال : ^ (الذين صبروا) ^ على أوامر ا وعن نواهيه ، وعلى أقدار ا المؤلمة ، وعلى الأذية فيه ، والمحن ^ (وعلى ربهم يتوكلون) ^ أي : يعتمدون عليه في تنفيذ محابه ، لا على أنفسهم . وبذلك تنجح أمورهم ، وتستقيم أحوالهم ، فإن الصبر والتوكل ، ملاك الأمور كلها ، فما فات أحدا شيء من الخير ، إلا لعدم صبره ، وبذل جهده فيما أريد منه ، أو لعدم توكله واعتماده على ا . ^ (ومآ أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون * بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) ^ يقول تعالى لنبيه محمد صلى ا عليه وسلم : ^ (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) ^ أي : لست ببدع من الرسل ، فلم نرسل قبلك ملائكة ، بل رجالا كاملين ، لا نساء ، ^ (نوحي إليهم) ^ من الشرائع والأحكام ، ما هو من فضله وإحسانه على العبيد ، من غير أن يأتوا بشيء من قبل أنفسهم ، ^ (فاسألوا أهل الذكر) ^ أي : الكتب السابقة ^ (إن كنتم لا تعلمون) ^ نبأ الأولين ، وشككتم : هل بعث ا رجالا ؟ فاسألوا أهل العلم بذلك ، الذين نزلت عليهم الزبر والبينات ، فعلموها وفهموها ، فإنهم كلهم ، قد تقرر عندهم ، أن ا ما بعث إلا رجالا يوحى إليهم من أهل القرى ، وعموم هذه الآية ، فيها مدح أهل العلم ، وأن أعلى أنواعه ، العلم بكتاب ا المنزل . فإن ا أمر من لا يعلم ، بالرجوع إليهم ، في جميع الحوادث ، وفي ضمنه ،

تعديل لأهل العلم ، وتزكية لهم ، حيث أمر بسؤالهم ، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة ، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله ، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم ، والاتصاف بصفات الكمال . وأفضل أهل الذكر ، أهل هذا القرآن العظيم فإنهم أهل الذكر على الحقيقة ، وأولى من غيرهم بهذا الاسم ، ولهذا قال تعالى : ^ (وأنزلنا إليك الذكر) ^ أي : القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد ، من أمور دينهم ودنياهم ، الظاهرة والباطنة ، ^ (لتبين للناس ما نزل إليهم) ^ وهذا شامل لتبيين ألفاظه ، وتبيين معانيه ، ^ (ولعلهم يتفكرون) ^ فيه ، فيستخرجون من كنوزه وعلومه ، بحسب استعدادهم ، وإقبالهم عليه . ^ (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين * أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم) ^ هذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتكذيب ، وأنواع المعاصي ، من أن يأخذهم بالعذاب على غرة ، وهم لا يشعرون ، إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم ، أو من أسفل منهم ، بالخسف أو غيره وإما في حال تقلبهم وشغلهم ، وعدم خطور العذاب ببالهم ، وإما في حال تخوفهم من العذاب ، فليسوا بمعجزين الله ، في حالة من هذه الأحوال ، بل هم تحت قبضته ، ونواصيهم بيده . ولكنه رؤوف رحيم ، لا يعاجل العاصين بالعقوبة ، بل يمهلهم ويعاقبهم ويرزقهم وهم يؤذونه ، ويؤذون أولياءه ، ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة ، ويدعوهم إلى الإقلاع عن السيئات ، التي تضرهم ، ويعدهم بذلك ، أفضل الكرامات ، ومغفرة ما صدر عنهم من الذنوب ، فليستح المجرم من ربه ، أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع الحالات ، ومعاصيه